المُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

اكتشفت أن في القرآن ثورة على الشرك، وثورة على الباطل، وثورة على الجهل، وثورة على الكذب، وثورة على التقليد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. والمعنى لكان هذا القرآن..... لقد سيرت بهذا القرآن قرون وأجيال من الأبطال والرجال، وقطعت بهذا القرآن أفكار بالية ومعتقدات فاسدة وكلمت بهذا القرآن قلوب، فاستيقظت وخوطبت به أرواح فاستجابت، واكتشفت أن في القرآن تجديداً وتحريراً وتنويراً وتغييراً وتجديداً للنفس والمجتمع والحياة والكون فكنت أعيش بين فكرتين: فكرة الثورة وفكرة التجديد وكتبت في الثورة مذكرة، وفي التجديد مذكرة وكنت أعجب جدًّا من ملحمة الثورة في القرآن في لفظه ومعناه وأنتشي لروعة التجديد في القرآن في سياقه ودلالته، فمرة أريد أن أكتب في الثورة ومرة أرغب في وصف التجديد، ومن أصدقائي من أعجبته لفظة الثورة بإيقاعها وجرسها ودلالتها، فأشار بأن أسطّر بنات الفكر عن الثورة، وآخرون يطربون للفظ التجديد لجمال مبناه وصدق معناه، فكان رأيهم أن أحبّر القول في هذا المضمار، وأستمطر الفكر في هذا المسار، حتى أشار عليّ ابني البار الذكي اللمّاح المحبوب الموهوب عبدالرحمن حمود القرني بعنوان: (ثورة التجديد) فصاح القلب: يا بشرى هذا غلام، فوقع مني هذا العنوان موقع الماء الزلال من ذي الغلّة الصادي وموقع بشرى الفرج من روح المكروب وخبر قدوم المفقود الوافد من قلب الملهوف الوالد، فدعوت الله له دعاء والد محب مشفق، وأنشدت:

openkandil.com

غــلام حــبــاه الله بــالــعــقــل يــافــعــاً
بــهــيُّ المــحــيــا كــالــهــلال إذا ظــهــرْ

إذا غــاب أشــجــى الــقــلــبَ مــنــي غــيــابــهُ
وتــبــهــج روحــــي بــالــســرور إذا حــضــرْ

فصرت أقلب العنوان (ثورة التجديد) تقليب الصيرفي للدّرة حبًّا وإعجاباً وأخفيه عن العيون ليوم موعود، وأقف أمام صرح جلاله، وهيكل جماله، صامتاً:

وإذا وقــفــتُ أمــامَ حــسِــنِــك صــامــتــاً
فــالــصــمــتُ في حــرمِ الجــمــالِ جــمــالُ

ومعيني الذي لا ينضب في ثورة التجديد هو القرآن العظيم الذي هو ظاهرة كونية وإنسانية كما وصفه بذلك مالك بن نبي، وقد قسم بعضهم الكلام إلى ثلاثة أقسام: قرآن ونثر وشعر، فجعل القرآن قسماً آخر ليس بنثر ولا شعر، فهو أرفع من النثر وأجل من الشعر وصدق الله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ولقد سافرت مع كلام الناس أدباً وتاريخاً وفلسفة وشعراً شرقاً وغرباً، عرباً وعجماً، فلم أجد ما يروي غليلي ويشفي عليلي، فعدت للقرآن متلهفاً متعطشاً متشوقاً باكياً لأجد فيه ما يعمر الروح رضًى والقلب طمأنينة، وتذكرت أبا العلاء المعري وقد سافر من وطنه معرّة النعمان إلى الكرخ بالعراق وكان أعمى، وقد اشتاق لموطنه فأخبره غلامه أنه أبصر برقاً جهة المعرّة فحن، وبكى، وأنشد:

فــيــا بــرقُ لــيــس الــكــرخُ داري وإنَّــمــا
رمــانــي إلــيــه الــدَّهــرُ مــنــذُ لــيــالِ

فــهــلْ فــيــكَ مــن مــاءِ المــعــرّةِ قــطــرةٌ
تــبــلُّ بــهــا ظــمــآنَ لــيــسَ بــســالِــي

ولقد وجدت في القرآن الثورة والتجديد، الثورة على معاقل الجاهلية نسفاً وإبادة، والثورة على حصون الوثنية سحقاً وتدميراً، والثورة على رجس النفوس تزكية وتطهيراً، والثورة على دنس الأفكار تقويماً وتصحيحاً، ثورة في المعتقد والأدب والأخلاق والأعراف والسياسة والفكر بلا شرك ولا انحراف ولا كذب ولا منكر ولا ظلم ولا حرام ولا دنس، وإنما توحيد واستقامة وعدل وطهر وحلال وهدى، ووجدت في القرآن التجديد في النفس والحياة والفرد والمجتمع والدولة والأمة، والتجديد الذي يجمع بين البدن والروح والدنيا والآخرة والعقل والعاطفة والحلال والمتعة، والعبادة والجمال، والذكر والفكر، والإيمان والتضحية والسعادة والكفاح.

وفي كتاب «**ثورة التجديد**» أطلقت نفسي على سجيتها بلا تكلف، أصطاد الفكرة وأعرضها في قالب فصيح واضح بلا تكلف وتشدق مبتعداً عن الإسفاف والابتذال مستحضراً قاموس البيان المهيب وديوان العربية الجليل، ولم أجعله على الأبواب ولا الفصول بل سرّحت الطرف، وأطلقت للقلم العنان، ولكن كل فكرة لها مقالة في مجال الإيمان والعلم، والسياسة والفكر، والإبداع والعمار، والأخلاق والآداب، والحضارة والإنسانية والتمدن والرقي الدنيوي، والإصلاح والبناء، مع النقد الهادف مع بيان الحكم الإسلامي الشوري الرشيد، وتعريّة الباطل وكشف القناع عن وجه الاستبداد والظلم والإشادة بالعدل والحرية والمساواة على نور من الوحي مع الاستفادة من التجارب العالمية والخبرة الإنسانية والنضوج الحضاري لأساطين الحكمة والمعرفة من كل جنس، ولو موظفاً الأدب في خدمة المعنى والدعابة والكتابة الساخرة في جذب النفوس وطرد الملل، وهذا الكتاب عمره عشرون سنة من أوله إلى آخره، فقد كتب بتؤدة وتأمل وتأنٍّ وتفكر، ونُشِر مقالات في جريدة الشرق الأوسط.

دكتور/ عائض القرني